بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــــة

الحمدُ لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام علـــى ســـيدنا محمدٍ خاتم الأنبياء والمرسلين خير مَن عُلّمَ وَعَلَّم. وعلى آله الطيبين الطـــاهرين وأصحابه الغرِّ الميامين ومَن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد، فقد عنّ لي منذ زمن ليس بالقريب أن ألج غور هـــذه الســـورة المباركـــة (اَلْقَـــارِعَةُ) لعلي أظفر بدرر بيانية، فظلَّ قلبي يهفو إلى ذلـــك، وتتحـــرك إليـــه نوازعي ، وتنطلق نحوه آمالي، فوقفت على شاطئ بحرها أعيش فـــي جوهـــا، وأتدبر كلماتها، وأطيل النظر في أصوات مفرداتها وإئتلافها، وكيف انتظم ذلـــك كُلُّه ليعبر عن فكرتها وأهدافها. فيسرَّ لي ربي ما كنت أرغب فيه، فكان الذي بين يديك :((نظرات بيانية في سورة القارعة)) وربّما سائل يسأل: ما الذي ستضـــيفه في بحثك هذا إلى ما جاء به السابقون واللاحقون؟

فأقول: إن القرآن الكريم كتاب الله الخالد مأدبةُ علمٍ وحكمةٍ وَخُلُقٍ، لا يَخْلَقُ، ولا تنقضي عجائبه، ولا تفنى كنوزه وإنّ قارئه في كلّ قراءة متدبرة لســـوره، بـــل لآياته يظفر فيها بما لم يظفر به في القراءة السابقة، وهـــذا ســـرٌّ مـــن أســـرار إعجازه، ورحم الله تعالى من قال :((لو أُعطي العبد بكلّ حرف من القرآن ألـــفَ فَهْمٍ لم يبلغ نهاية ما أودع الله في آية من كتابه، لأنه كلام الله، وكلامه صـــفته، وكما أن ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كلٌّ بمقـــدار مـــا يفتح الله على قلبه، وكلامُ الله غير مخلوق، ولا يبلغ إلى نهايـــة فهمـــه فُهـــوم محدثة مخلوقة))[1].

---

[1]) البسيط في التفسير –للواحدي ١/ ٢٣٦ – ٢٣٧.نقلاً عن كتاب نظرات لغوية في القرآن الكريم- . صالح بن حسين العايد ص١٢

فبحثي هذا أودعته مقدار فهمي لشئ من بيان السورة بما فتحه الله سبحانه وتعالى على قلبي . وهو لا يعدو أن يكون نظرات بيانية نستبين بها روعة النظم البديع في كتابه العزيز.

وكان نهجي فيه أنني قسمته على قسمين، تحدثت في القسم الأول عن تسمية السورة ومكان نزولها، وترتيبها وعدد آياتها، وأشرت إلى مناسبتها لما قبلها، ثم تحدّثت عن هدف السورة ومحورها. وتناولت في القسم الثاني السورة آيةً آيةً لإبراز بعض مكنوناتها البيانية التي كان فيها قليل من النظرات والتأملات.

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويقيل عثراتي، ويغفر خطيئتي يوم الدين.

أ.د.خليل إبراهيم السامرائي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ القارعة: ١ – ١١

بين يدي الســـــــــورة:

١ – تسميتها ومكان نزولها

سورة القارعة مكيّة بلا خلاف[١]، واتفقت المصاحف والتفاسير وكتب السنة على تسميتها ((سورة القارعة)) ولم ترو لنا المصادر شيئاً في تسـميتها مـن كـلام الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم[٢]، ولعله سـمّيت بـذلك لـذكر لفـظ القارعة فيها[٣] والله اعلم.

٢ – ترتيبها وعدد آيها:

عُدّت سورة القارعة الثلاثين في عداد نزول سور القرآن الكريم، نزلت بعـد سورة ((قريش)) وقبل سورة ((القيامة))[٤].

واختلف في عدد آيها، فهي في عدِّ أهل مكة والمدينة عشر آيات، وفي عـدِّ أهل الشام والبصرة ثماني آيات، وفي عدِّ أهل الكوفة إحدى عشرة آية[٥].

---

[١])ينظر : الجامع لإحكام القرآن ٤٤٢/٢٢، زاد المسير ٢١٣/٩، المحرر الوجيز ٥٥٢/١٥، فتح القدير ٥١١/٥، الدر المنثور ٥٥٢/٨.
[٢]) ينظر: التحرير والتنوير ٥٠٩/٣٠.
[٣]) ينظر تفسير حدائق الروح والريحان ٢٦٦/٢٢.
[٤]) ينظر التحرير والتنوير ٥٠٩/٣٠، وتفسير حدائق الروح والريحان ٢٦٦/٢٢.
[٥]) المصدران أنفسهما.

٣- مناسبة السورة لما قبلها

ان سورة ((العاديات)) التي تسبق سورة ((ٱلْقَارِعَةُ)) قد انتهت بوصف يوم القيامة من بعثرة ما في القبور، وتحصيل ما في الصدور، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ ﴾ العاديات: ٩ - ١٠

وبينت أن وراءهم حساباً دقيقاً عادلاً فيه مجازاة الناس على أعمالهم وما كسبت أيديهم، قال تعالى:-﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ العاديات١١

فلما كانت هذه الأمور كلُّها تدلُّ على البعث ذكر صيحته، فقال: ((ٱلْقَارِعَةُ)) وصور أحوالهم، ثم ذكر مآلهم بعد الحساب وقسمهم على قسمين ناج وهالك. فقال: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾ ....الخ.

٤-هدف السورة ومحورها

ونحن نتحدث عن هدف سورة القارعة، وهي من السور المكية قمين بنا أن نشير إلى أنّ أهم أهداف السور المكية هو عرض أسس العقيدة الإسلامية المتمثلة بالإلوهية، والرسالة، والبعث بعد الموت، والدعوة إلى فضائل الأخلاق ومكارمها.

وسورة القارعة تعرض أهم الأحداث التي تجري يوم القيامة، وتذكر الحساب العادل الذي يجري فيه، والذي يتمخض عنه مآل الخلق وبيان منزلتهم. وكل ذلك يجري بقدرة الخالق العظيم على خلقه، كما أنها تضمنت ممّا عرضته الدعوة الى عبادة الله سبحانه وتعالى، وتوحيده، وعدم الإشراك به، والسير في الطريق المستقيم، والوصول الى منتهاه حيث ((العيشة الراضية)).

﴿ ٱلْقَـارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ ﴾

أفْتُتِحت هذه السورة الكريمة بقوله عزّ وجل((ٱلْقَـارِعَةُ)) وهو افتتاحٌ مرعبٌ مهولٌ، حققه جرس هذه اللفظة وتناسق أصواتها اللذان يدلان على وقوع أمر شديد عظيم.

فمعظم باب القاف والراء والعين يدل على الضرب[١].

والقرع: هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد[٢].

وعلى الرغم من وضوح شيء من المقصود العام لهذه اللفظة يبقى الإبهام المرعب المهول قائماً فيها . إذ إن الصيغة اسم فاعل، واسم الفاعل يدل على الحدث ومَن وقع منه أو اتصف به، لكنها ((القارعة)) أُلقيت بلا خبر، ولا صفة توضحها، ولا تمييز يرفع إبهامها لتلقي بظلّها وجرسها الإيحاء المدوّي المرهوب[٣].

إنّ القارعة في مفهوم الناس هي الحادثة العظيمة، أو النازلة الشديدة من شدائد الدهر، أو الداهية، وسميت بالقارعة، لأنها تقرع الناس، أي تضربهم بشدتها[٤].

((والعرب تقول: قرعتهم القارعة، إذا وقع بهم أمرٌ فظيع.

قال ابن احمر:

وقارعة من الأيام لولا سبيلُهم لراحَتْ عنك حِينا

وقال آخر:

متى نَقْرَع بمروءتكم نَسُؤْكُم ولم يُوقَد لنا في القِدْر نارٌ))[٥].

---

[١]) ينظر: معجم مقاييس اللغة ٧٢/٥.
[٢]) ينظر تفسير ابي السعود ٨٩٧/٥.
[٣]) ينظر: في ظلال القرآن ٣٩٦٠/٦، ومشاهد القيامة في القرأن ص٦٥.
[٤]) ينظر مادة (قرع) في معجم مقاييس اللغة ٧٢/٥، والصحاح، ولسان العرب.
[٥]) فتح القدير ٥١١/٥

أما المقصود بها هنا فقد اختلف المفسرون في بيانه. فذهب جمهور المفسّرين إلى أنّ ((القارعة)) اسم من أسماء القيامة كالواقعة، والطامة، والحاقّة، والصاخّة، والغاشية[١].

وقيل: هي الساعة التي يقرعُ قلوبَ الناسِ هولُها، وعظيم ما ينزل من البلاء عندها[٢].

وقيل: هي صوت النفخة في الصُّور[٣].

وعن الضحاك أن القارعةَ هي النار ذات الزفير، وكأنّه يريد انها اسم جهنم[٤].

ونحن نرى أن ((القارعة)) هنا مرحلة من المراحل، أو فصل من الفصول التي تقع يوم القيامة، وليست هي القيامة، لانَّ القرآن الكريم ذَكَر لنا فصولاً عديدة، ومشاهد كثيرة تقع في هذا اليوم العظيم. وما ذكر في هذه السورة يمثل صوراً لبعض تلك المشاهد وليس لكلّها. ولعلّ ما يراد بالقارعة هو بداية هذا اليوم العظيم الذي يبدأ بالقرع الشديد الذي يفزع الخلائق بأهواله، وهو فوق التصور والإدراك. والله اعلم.

وكما اختلف المفسرون في مفهوم القارعة اختلفوا في إعرابها أيضا.

فذهب جمهورهم إلى أنّ ((القارعة)) رفع بالابتداء، وخبرها قوله: ((مَا ٱلْقَارِعَةُ)) والرابط تكرار المبتدأ بلفظه[٥]، والمعنى: القارعة شئٌ عظيمٌ هي.

وهذا يكون على أنّ الآية الأولى تنتهي عند قوله: ((مَا ٱلْقَارِعَةُ)).

وقال آخرون: ((القارعة)) مبتدأ، وخبره محذوف، والتقدير القارعة قريبة أو ما بمعناها.

وهذا يجرى على أن القارعة الأولى آية مستقلة بنفسها[٦].

---

[١]) ينظر: جامع البيان ٦٧٥/٣٠، معاني القرآن واعرابه ٢٧١/٥، اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص١٧٢، جامع الاحكام ٢٤٢/٢٢، فتح القدير ٥١١/٥ ، روح المعاني ٤٤٧/٣٠، التحرير والتنوير ٥١٠/٣٠ ، في ظلال القرآن ٣٩٦١/٦.

[٢]) ينظر: جامع البيان ٦٧٥/٣٠.

[٣]) ينظر: روح المعاني ٤٤٧/٣٠، والتحرير والتنوير ٥١٠/٣.

[٤]) ينظر التحرير والتنوير ٥١٠/٣.

[٥])ينظر : اعراب ثلاثين سورة ص١٧٢، البحر المحيط ٥٠٣/٨، الدر المصون ٥٦٣/٦، التفسير الكبير ٦٨/٣٢، و فتح القدير ٥١١/٥.

[٦]) ينظر: التحرير والتنوير ٥١٠/٣٠

وذهب آخرون إلى أنّ ((القارعة)) فاعل فعل محذوف، والتقدير أتت، أو: ستأتيكم القارعة عل ما اخبر عنه في قوله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴾[1] ويكون قوله: ((مَا ٱلْقَارِعَةُ)) استئنافا للتهويل، وجعل آية ثانية عند أهل الكوفة[2].

وهناك توجيه بياني في إعراب ((القارعة)) أثاره عدّها آية في هذه السورة، أي وقوع المفرد غير المخبر عنه آية مستقلة مثل ((الرحمن)). و ((الحاقة)) خلاف ما عليه النظم الحكيم فضلاً عن القواعد النحوية واللغوية – ((وهو ان وضعها في النظم آية مستقلة يوحي بأنّ هذه الكلمة ونظيرتها، سادة مسد الجملة، من حيث المعنى. يعني هي مبتدأ خبره فيه، أو خبر مبتدؤه فيه، أي هي من الكلمات التي يُكتفى بها – لفخامة معناها – فلا تحتاج إلى ما تضم هي إليه، أو يضم هو إليها. وهذا من عناصر التفخيم المقصود من الاستفهام الذي بعدها))[3].

أي: أنها من الكلمات التي يراد فهمها في نفسها ولفت الأنظار إليها، يعني أنها لفخامة شأنها لا تحتاج إلى خبر.

وكون القارعة مبتدأ هو الأرجح والأنسب، لأنها جملة اسمية تدل على الثبوت والتوكيد. فوقوعها ثابت مؤكد لا ريب فيه ولا عنه محيص.

وفي الرفع معنى التحذير ايضاً: ((قال الزجاج: والعرب تحذر وتغري بالرفع، كالنصب، وأنشد قول الشاعر:

لجديرون بالوفاء إذا قا لَ أخو النَّحدةِ: السلاحُ السلاحُ))[4].

ويدل على ذلك – أعني التحذير بالرفع – قراءة عيسى

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ ﴾

بالنصب على التحذير، بإضمار فعل، أي: احذروا القارعة.

---

[1]) ينظر: التفسير الكبير ٦٨/٣٢، والتحرير والتنوير ٥١٠/٣٠.
[2]) ينظر : التحرير والتنوير ٥١٠/٣٠.
[3]) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم ٣٨٥/٤.
[4]) الدر المصون ٥٦٣/٦، فتح القدير ٥١١/٥ ، حدائق الروح والريحان ٢٦٨/٢٢.

وعلى هذه القراءة تكون ((ما)) في قولـــه: ((مَا ٱلْقَارِعَةُ)) زائـــدة للتوكيـــد والقارعة الثانية توكيد لفظي للقارعة الأولى[1].

ويبدو لي أنّ في استعمال لفظ ((القارعة)) ملحظاً بيانياً بديعاً، ففضـــلا عمّـــا أوحته من وقوع جوٍّ نفسي مخيف جسّدَت في مقاطع مادتها الصوتية منزلـــة الفريقين اللذين تحدثت عنهما السورة الكريمة، وهما فريق المؤمنين، وفريق الكافرين. فالمقطع الأول الطويل المفتوح ((قا)) تَكوَّن من صوت القاف، وهو صوت لهوي شديد له قيمة تفخيمية[2]، ومن المصوت الطويل، وهو الألـــف اللينة التي زادت القاف شدة وتفخيما. والمقاطع الصوتية الطويلة المفتوحـــة ترسل الصوت في امتداد متسع. فلو نطقت هـــذا المقطـــع الصـــوتي ((قـــا)) لوجدته يدل على الاتساع والعلوِّ والارتفاع التي تدل على المكانـــة الســـامية العالية التي سيتبؤها الفريق الأول. وهل هناك أعظم منزلة، وارفـــع مكانـــة ممّن ينال عيشة راضية في دار القرار قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ ﴾ القارعة:٦- ٧

وأما المقطعان الصوتيان اللذان يتلوان هذا المقطع فهما مقطعـــان قصـــيران (رِعَ) تَكوَّن الأول من صوت ((الراء)) والمصوت القصير الكسرة ، وتكـــوَّن الثاني من صوت ((العين)) والمصوت القصير الفتحة. والراء حرف مهموس مرقق، والعين صوت حلقي رخو مرقَّق. ولو نطقت هذين المقطعين الصوتيين بعد المقطع الأول ((قارِعَ)) لأحسست بالانحدار والخفة، والانخفاض الســـريع التي تجسد منزلة الفريق الثاني من الضعف والتسفل والعمق والذلـــة. وهـــل هناك أخسُّ منزلة وأحطُّ مكانة من الهاوية؟

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ ﴾ القارعة: ٨ – ٩)) وهي النار ذات العمق السحيق.

---

[1]) ينظر البحر المحيط ٥٠٣/٨، والدر المصون ٥٦٣/٦.
[2]) ينظر: علم الاصوات اللغوية – د. مناف مهدي ص٨٣.

وإذا وقفنا على الحرف الأخير من ((القارعة)) زاد الأمر وضوحا في الانتهاء من الحكم الفصل بين منزلة الفريقين.

قوله : ((مَا ٱلْقَارِعَةُ))

أول استفهام في السورة يفرّغ في السَّمع شحنةً هائلة من التعجيب والتهويل وغرابة الشأن[1]. لان ((القارعة)) تفوق الوصف والإدراك في عظم شأنها، وجليل سلطانها، وقد زاد ذلك التعجيب والتهويل والغرابة تكرار لفظ ((القارعة)) لما فيه من الترويع والتهويل، ومبالغة الإبهام.

وقصد المبالغة يستلزم في الغالب الإيجاز إما بالحذف، وإما بجعل الشيء نفس الشيء، او بتكرار لفظ يفهم بتكراره التهويل والتعظيم، ويقوم مقام أوصاف وذكر أهوال[2]. لذا جاء التعبير ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾ وكان حقه: القارعة ما هي؟ فعدل عن ذلك فوضع المظهر موضع المضمر ليتحقق المعنى المقصود، والغرض المراد من تأكيد تهويلها وتفخيم شأنها.

وهذا مسلك العرب في كلامها، فإذا قصدوا الاهتمام والاعتناء والتهويل والاستعظام كرروا، كقول الخنساء في رثاء صخر[3]:

إنّ صخراً لَوالينا وسيّدنا ... وإنّ صخراً إذا نَشْتوا لَنحّارُ
وإنّ صخرا لمِقدامٌ إذا رَكِبوا ... وإنّ صخراً إذا جاعوا لعقّارُ
وإنّ صخراً لتأتَمُّ الهداةُ به ... كـــأنّه علمٌ في رأسه نارُ

وكقول سوادة بن عدي[4]:

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شئٌ ... نغَّص الموتُ ذا الغنا والفقيرا.

---

[1]) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم ٢٩٥/٤، ٣٨٥.
[2]) ينظر: ملاك التأويل ٣١٥/١.
[3]) الديوان ص٤٢ –٤٣.
[4]) ينظر: كتاب سيبويه ٤٢/١، وآمالي ابن الشجري ٢٨٥/١.

والقرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب وعلى وفق أساليبهم كثيراً ما استعمل هذا اللون من التعبير

كقوله تعالى((﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ ﴾ الحاقة:١ – ٢)) وقوله: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ ﴾ القارعة: ١ - ٢ ﴾ وقوله:﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ ﴾ النبأ: ٤ - ٥ ﴾ .

جاء في ملاك التأويل:((إن العرب متى تهمّمت بشيء أرادته لتحققه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيداً، وكأنها تقيم تكرارها مكان القسم عليه، والاجتهاد في الدعاء عليه حيث يقصد الدعاء وإنما نزل القرآن بلسانهم وكأن مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض. وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة))[١].

وملحظ بياني آخر في هذا الاستفهام، وهو أنّ الآية الكريمة استفهمت بـ (ما) من بين سائر ادوات الاستفهام، فقال﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ القارعة: ٢- ٣ ﴾ وذلك لأنّ (ما) الاستفهامية تستعمل إذا أريد بإبهامها تعظيم الأمر وتفخيمه فأحرزت لإبهامها هنا من عظيم أمر (القارعة) ما لا يفي به الوصف، والإبهام مقصود في التعظيم والتفخيم المعبَّر بها عنه[٢].

وجمهور المفسرين يعربون (ما) الاستفهامية مبتدأ ثانيا، و((القارعة)) خبره[٣]. والرابط تكرار المبتدأ بلفظه.

ويرى العلامة أبو السعود العكس في هذا الإعراب، أي: أن (ما) خبر و((القارعة)) مبتدأ، لان الخبر هو محط الفائدة، وهو مدار الكلام ومناطه، يقول: ((وهي مبتدأ- أي القارعة – خبره قوله تعالى:﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ على أن ((ما)) الاستفهامية خبر، والقارعة مبتدأ، لا بالعكس لما مرَّ غير مرة أن

---

[١]) ملاك التاويل ٥٠٠/٢.
[٢]) ينظر: المصدر نفسه ٩٩١/٢.
[٣]) ينظر: اعراب ثلاثين سورة ص١٧٣، كشف المشكلات ١٤٧٦/٢، البحر المحيط ٥٠٣/٨ وفتح القدير ٥١١/٥.

محط الفائدة هو الخبر لا المبتدأ، ولا ريب في أنّ مدار إفادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ((ما))، لا القارعة، أي:أيُّ شيء عجيب هي ، في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتهويل))[1].

وما ذهب إليه هو الصحيح عندنا ، لانّ السؤال عن حقيقة القارعة وكنهها، لا عنها. فالخبر مجهول و هو المطلوب بيانه.

قوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ استفهام إنكار وتجهيل وتعجيب تاكيداً لشدّة هولها، ومزيد فظاعتها. وإعلام للنبي ((صلى الله عليه وسلم)) وللخلق جميعهم، بأنه مهما خطر على بال احد منكم، أو يخطر فهي أعظم منه، فقال: ((وَمَآ أَدۡرَىٰكَ)) أي : ايّ شيء أعلمك بها او يعرِّفُكَ بها؟ فهي أعظم من أن يحيط بها علم عالم سوى الله تعالى مهما تُخيِّل أمرها، وَحُدس شأنها فهي اكبر وا عظم من أن تقدّر أو تدرك.

وأعربوا (ما) الاستفهامية مبتدأ، وجملة (أدراك) في محل رفع خبر (ما). وجملة (مَا ٱلۡقَارِعَةُ) من المبتدأ والخبر في محل نصب سدّت مسد مفعولي (ادرى) وقيل محلُّها النصب على نزع الخافض، لان ادري يتعدى الى المفعول الثاني بالباء[2] . كقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦ ﴾ يونس: ١٦)) .

وذهب قطرب بن المستنير تلميذ سيبويه الى أنّ قوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ خبر للقارعة المبتدأ بها السورة. ويرد عليه أنّ الفائدة لم تحصل بهذا الخبر مع المبتدأ. فكيف يكون المجهول خبراً؟ وقد أجاب الرازي على هذا بقوله : ((وعلى قول قطرب الخبر ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ فإن قيل:

---

[1]) ارشاد العقل السليم ٨٩٨/٥.

[2]) ينظر: ارشاد العقل السليم ٨٩٨/٥، وحاشية الصبان على شرح الاشموني ٢٣/٢.

إذا أخبرت عن شيء بشيء فلا بد وان تستفيد منه علماً زائداً، وقوله: ((وَمَآ أَدۡرَىٰكَ)) يفيد كونه جاهلا به، فكيف يعقل ان يكون هذا خبراً؟

قلنا: قد حصل لنا بهذا الخبر علم زائد، لانّا كُنّا نظنُّ أَنها قارعة كسائر القوارع، فبهذا التجهيل علمنا انها قارعة فاقت القوارع في الهول والشدّة))[1].

وهذا التهويل البياني يدفعنا أن نقول: ليس بعده بيان تهويل. وهذا هو الإعجاز في اجلى صوره، فليس في مقدرة احد مهما أوتي من قوة بيان أن يصور اهوال القيامة بأسلوب ابلغ من هذا الأسلوب،أو مساوٍ له[2].

قوله: ﴿ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾

بعد: إلقاء الخبر بهذا الإيحاء التعجيبي المبهم المفزع الذي يتضمن التهديد: ﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٣﴾ ﴾ صارت نفوس السامعين هالعة، وأفئدتهم خالعة، فأصاخوا لانتظار الإجابة عن ماهية القارعة التي اخبروا عنها بالتجهيل والتهويل، لان هول الشيء يستلزم تساؤل الناس عنه ومعرفة كنهه. لكن الجواب لم يفصح عن ماهيتها، وإنما بين وقتها وما يحدث فيه.

لأن إدراك حقيقتها فوق حيز التصور والتقدير. فهي ليست كقوارع الدنيا((قوارع الدنيا بجنب تلك القارعة كأنها ليست بقوارع))[3].

و ((يوم)) منصوب على الظرفية، واختلف في ناصبه على اقوال:

الأول: انه منصوب بمضمر دلّت عليه القارعة، أي: تقرع يوم يكون الناس، وهذا قول الزمخشري[4].

الثاني: انه منصوب بفعل مقدّر، أي: تأتي يوم يكون، وهو قول الحوفي[5].

---

[1]) التفسير الكبير ٦٨/٣٢.
[2]) ينظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم ٣٨٥/٤.
[3]) التفسير الكبير ٦٨/٣٢.
[4]) ينظر: الكشاف ١٣٧٣/٤.
[5]) ينظر البحر المحيط ٥٠٤/٨، ارشاد العقل السليم ٨٩٨/٥، وفتح القدير ٥١٢/٥.

الثالث: انه منصوب بالقارعة، وهو قول ابن عطية[1]، وأبي البقاء[2]، ومكي[3].

وقد تعقب أبو حيان هذا القول، فقال: ((فإن كان – يعني ابن عطية – عنى بالقارعة اللفظ الأول فلا يجوز، الفصل بين العامل وهو في صلة أل والمعمول بالخبر، وكذا لو صار القارعة علماً للقيامة لا يجوز أيضاً. وإن كان عنى باللفظ الثاني أو الثالث فلا يلتئم معنى الظرف معه))[4].

الرابع: أن الناصب له فعل مقدّر رافع للقارعة الأولى.

كأنه قيل: تأتي القارعة يوم يكون. قاله مكي[5]، وتعقب السمين الحلبي هذا القول بقوله: ((وعلى هذا يكون ما بينهما اعتراضاً، وهو بعيد جداً، متنافر لنظم الكلام))[6].

وقيل: إن (يوم) مفعول به منصوب بفعل مقدر، أي : اذكر يوم يكون الناس[7].

وقيل: إن (يومَ) مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف، وبُنيَ على الفتح لإضافته إلى الفعل المضارع على رأي الكوفيين والتقدير: يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث[8].

وقرأ زيد بن علي (رضي الله عنه) ((يومُ يكون)) برفع الميم أي: وقتها يومُ يكون الناس ، أو هي يومُ[9].

وجوز بعضهم أن يكون قوله:(ٱلْقَارِعَةُ) التي بدأت بها السورة مبتدأ، وقوله: ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ ﴾ اعتراض، ويكون قوله: ﴿ يَوْمَ

---

[1]) ينظر المحرر الوجيز ٥٥٣/١٥.
[2]) ينظر: ينظر التبيان في اعراب القرآن ٢٩٣/٢
[3]) ينظر مشكل اعراب القرآن ٣٧٤/٢.
[4]) البحر المحيط ٥٠٤/٨، وينظر: الدر المصون ٥٦٣/٦.
[5]) ينظر الدر المصون ٥٦٤/٦.
[6]) ينظر: مشكل اعراب القرآن ٣٧٤/٢، الدر المصون ٥٦٤/٦.
[7]) ينظر البحر المحيط ٥٠٤/٨، الدر المصون ٥٦٣/٦، فتح القدير ٨٩٨/٥.
[8]) ينظر فتح القدير ٨٩٨/٥، وارشاد العقل السليم ٥١٢/٥. وجوز الكوفيون فيما يضاف الى الجملة جوازاً الاعراب والبناء سواء اضيف الى جملة فعلية صدرت بماض، او جملة فعلية صدرت بمضارع، او جملة اسمية وتبعهم ابن مالك ينظر شرح ابن عقيل ٥٩/٣.
[9]) ينظر البحر المحيط ٥٠٤/٨، والدر المصون ٥٦٤/٦، وقراءة زيد بن علي دراسة نحوية ولغوية ص١٠٠-١٠١ ، اعراب القراءات القراءات الشواذ ٧٣٧/٢.

﴿ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾ خبراً . أي هذا واقع يوم يكون الناس[1]. فيكون متعلقا بمحذوف.

وقد أجاز الطبري والنحاس هذا الوجه، والتقدير عندهما: القارعة يوم يكون[2].

وفي هذه الآية ملحظ بياني تأتّى من تجهيل التوقيت وعدم تحديده بزمان معلوم في قوله:﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾ والقصد بهذا التوقيت زيادة التهويل بما أضيف إليه ((يوم)) من الجملتين المفيدتين احوالاً هائلة، لانّ شأن التوقيت يكون بزمان معلوم، إذا كان الحال المؤقت بزمان غير معلوم مداه كان مدعاة للأطماع في تعيين وقت حصوله، لأنهم يسألون متى الوعد؟ فتوقيته بما هو مجهول لهم إبهام آخر للتهويل والتحذير من مفاجآته[3].

وبهذا يكون قد حصل عند هذه الآية تهويل شديد بثمانية طرق وهي:

- الابتداء باسم ((القارعة)) المؤذن بأمر عظيم.
- والاستفهام المستعمل في التهويل.
- والإظهار في مقام الإضمار أول مرة.
- والاستفهام عمّا ينبئ بكنه القارعة.
- وتوجيه الخطاب إلى غير معين.
- والإظهار في مقام الإضمار ثاني مرة.
- والتوقيت بزمان مجهول محصوله.
- وتعريف ذلك الوقت بأحوال مهولة[4].

---

[1]) ينظر كشف المشكلات وايضاح المعضلات ١٤٧٦/٢.
[2]) ينظر جامع البيان ٦٧٦/٣٠، واعراب القرآن ٧٥٨/٣.
[3]) ينظر: الدر المصون ٥١٢/٦.
[4]) المصدر نفسه

قوله: ﴿ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾

اختلف المفسرون واللغويون في تحديد الفراش.

- **فقال ابن عباس (رضي الله عنهما): الفراش هو شيء يطير بين السماء والأرض مثل الجراد[١].**
- **وقال قتادة رحمه الله: هو الطير الذي يتساقط في النار[٢].**
- **وقال الفراء في تفسير الآية:((يريد كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا، كذلك الناس يومئذ يجول بعضهم في بعض))[٣].**
- **وقال أبو عبيدة: ((كالفراش المبثوث: طير لا بعوض ولا ذباب هو الفراش))[٤].**
- **وجاء في البحر المحيط: ((الفراش طير دقيق يقصد النار، ولا يزال يقتحم على المصباح ونحوه حتى يحترق))[٥].**
- **أما الطاهر بن عاشور فيعرّفه بقوله: الفراش: فرخ الجراد حين يخرج من بيضه من الأرض يركب بعضه بعضا، وهو ما في قوله تعالى﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾ القمر: ٧)) وقد يطلق الفراش على ما يطير من الحشرات ويتساقط على النار ليلا))[٦].**

ويرى أنّ هذا الإطلاق لا يناسب تفسير لفظ الآية هنا به[٧]. ولا أدري لماذا؟!

---

١) ينظر. تنوير المقباس٣٩٥، وجامع البيان ٦٧٦/٣٠.
٢) ينظر البحر المحيط ٥٠٤/٨، وجامع الاحكام ٤٤٣/٢٢.
٣) معاني القرآن ٢٨٦/٣.
٤) مجاز القرآن ٣٠٩/٢.
٥) البحر المحيط ٥٠٤/٨
٦) التحرير والتنوير ٥١٢/٣٠.
٧) المصدر نفسه ٥١٢/٣٠.

إنّ هذا الخلاف في تحديد ((الفراش)) يمكن أن نستنتج منه ما يأتي:

١- إن هناك تجهيلا في معرفة الفراش، وهذا التجهيل تضمن تهويلاً شديداً آخر ينضاف إلى ما مرَّ من أهوال هذا اليوم العظيم.

٢- إنّ هذا الاختلاف ينبئ بأن ((الفراش)) حشرات متنوعة، ومختلفة الأشكال والأحجام والألوان. وهذا ينسجم هو والاختلاف الموجود في جنس البشر فهم يختلفون في أشكالهم و أحجام أجسامهم وألوانهم.

فتشبيه الناس في هذا اليوم العظيم بالفراش المبثوث تشبيه دقيق، وهو تشبيه مرسل مركب، لان وجه الشبه صورة منتزعة من أشياء متعددة، كما هو معروف عند البلاغيين.

و في هذا التشبيه مبالغات كثيرة ذكرها الزمخشري بقوله: ((شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار، والضعف والذلة، والتطاير إلى الداعي من كلّ جانب، كما يتطاير الفراش إلى النار))[١].

ولما كانت التشبيهات منتزعة من البيئة التي يعيش فيها الإنسان يلاحظ ان هذا التشبيه مستمد من البيئة العربية، مستمد من صورة أَلفها العربي واعتادها، فضرب بها المثل، وذكرها في شعره، وذلك لان البيئة العربية صحراء مترامية الأطراف تسرح فيها حيوانات مختلفة، فإذا خيم الليل وجنَّ الظلام، فأنّ أي نار توقد تتهافت حولها الحشرات المتنوعة وتموج بعضها في بعض[٢].

وقد انعكس ذلك في كلامهم، فإذا أرادوا هجاء قوم شبهوهم بالفراش، لانهم لا حلوم لهم، كما ان الفراش طائش يموج بعضه فوق بعض حتى يهووا جميعهم في النار، انشد الليث:

أَودى بِحلْمِهِم الفياش فحلمُهم حلم الفراش غَشَيْنَ نار المصطلي[٣].

وإذا أرادوا ان يبينوا ضعف قوم وجهلهم شبهوهم بالفراش،

---

[١]) الكشاف٤/١٣٧٤

[٢]) ينظر: التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة ص١١٢-١١٣.

[٣]) ينظر : لسان العرب مادة (فيش) والفياش: المفاخرة.

قال الشاعر:

وقد كان اقوامٌ رَدَدْتُ قُلُوبَهم عَلَيْهم وكانوا كالفراش من الجهلِ[1].

وضربوا المثل به في الطيش والهوج، فقالوا:

((أطيش من فراشة))[2]

ومن هذا نفهم وجه الشبه في الآية الكريمة:﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾ فالناس حين تنزل بهم نازلة يفزعون ويضطربون ويموج بعضهم فوق بعض. وهذا الاضطراب النفسي الحركي يؤدي الى التدافع الذي يؤدي إلى التهلكة، كما يؤدي تدافع الفراش إلى النار والهلاك[3].

أما الفعل ((يكون)) فيجوز فيه النقصان والتمام، فإذا كان ناقصاً ((الناس)) اسم له، و ((كالفراش)) في محل نصب خبره.

أما إذا كان تاما فيكون ((الناس)) فاعلاً له، و((كالفراش)) حالاً من الفاعل، أي: يوجدون أو يحشرون حال كونهم كالفراش، أي: شبه الفراش.

قوله:﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾

العهن: واحده العِهْنة مثل: الصُّوف والصُّوفَة[4]، وهو : الصّوف المصبّغ الملون بالوان مختلفة[5].

والمنفوش: المتفرق الأجزاء، والنَّفش: فكُّ الأجزاء وخلخلتها وتفريقها عن تراصها حتى ينتفش بعضها عن بعض[6].

---

[1]) ينظر: الدر المصون ٥٦٤/٦، وارشاد العقل السليم ٥١٢/٥.
[2]) مجمع الامثال ٣٤٧/٢.
[3]) ينظر: التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة ص١١٣.
[4]) ينظر: معاني القرآن – للأخفش ٥٤٣/٢. واعراب القرآن للنحاس ٧٥٨/٣.
[5]) ينظر: معاني القرآن – للفراء ٢٨٧/٣، جامع البيان ٦٧٦/٣، الكشاف ١٣٧٣/٤، التفسير الكبير ٦٩/٣٠، وارشاد العقل السليم ٨٩٨/٥.
[6]) ينظر: التفسير الكبير ٦٩/٣٠، والمحرر الوجيز ٥٥٤٧/١٥.

والآية الكريمة تذكر حدثاً عظيماً مهولاً آخر تكون فيه الجبال الراسيات، الراسخات، الشامخات بسبب القارعة كقطع الصوف المندوفة المنتفشة الخفيفة الوزن التي لا صلادة فيها!!!

ومن المعلوم أنّ ابرز ما على الأرض هي الجبال، وان تكوينها ورسوخها وثباتها لأمر يثير الدهشة والعجب. فأنّ آخر ما توصلت إليه النظريات الجيولوجية هو: ((أنّ للجبال جذوراً وتدية في الأرض يعدل امتدادها ضعفي امتداد الجبل عن الأرض. فهي أوتاد. وهذه الأوتاد تعمل على تثبيت القشرة حتى لا تميد بنا. فالعلم الحديث اثبت أنّ الأرض قشرة تمسك جوفها المشتعل، وهذه القشرة لن تمسك شيئاً لولا ثباتها وتماسكها الذي لا يأتي إلاّ بالجبال التي تفعل فعل الأوتاد والمسامير، وتحافظ على توازن القشرة الأرضية))[1].

وصدق ربُّنا العزيز القائل: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ القمر: ٤٩)) والقائل: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾ الحجر: ١٩)) والقائل: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾ النبأ: ٦ – ٧)) والقائل: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ النحل: ١٥))

أقول: يا تُرى إذا كانت هذه حقيقة الجبال وتلك طبيعتها. فما هذه الحادثة العظيمة((القارعة)) التي تجعل الناس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش؟!!!

إذاً لا بدّ أن تكون حادثة مهولة جداً، وعامة للكرة الأرضية كلّها. ويلاحظ ان التشبيه في هذه الآية ايضاً تشبيه مرسل مركب. فقد شبه الجبال الراسيات حال تفتتها وانهيارها، ثم صيرورتها كالهباء بعد صلابتها ورزانتها، بالصوف الملون المندوف الذي فُرِّقت شعراته بعضها عن بعض حتى صار على حال يطير مع اضعف ريح. فلا تلبث الجبال ان تذهب وتتطاير أجزاؤها وتتناثر.

---

[1]) ينظر: وجوه من الاعجاز القرآني – مصطفى الدباغ ص١٥٥،١٥٦. نقلا عن كتاب القرآن والعلم –لمحمد جمال الديني الفندي ص٣٢٢.

واختصاص العهن هنا لألوان الجبال[1]، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ فاطر: ٢٧)) .

وقيل يحتمل ان يكون المراد من قوله: ((﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ القارعة: ٥)) أنّ جبال النار تصير كالعهن المنفوش لشدة حرارتها[2].

وفي هذه الآية الكريمة ملاحظ بيانة منها:

- ان التعبير القرآني كرّر الفعل مع حرف العطف (الواو) فقال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ القارعة: ٤ – ٥)) ولم يقل: يوم يكون الناس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش.

وسبب ذلك ان التكرير في هذا المقام ابلغ في الترهيب والتحذير[3]. فضلا عن الاشارة الى اختلاف الكونين. فإن الكون الأول كون إيجاد، والثاني كون اضمحلال. وكلاهما علامة على زوال عالم وظهور عالم آخر[4].

- استعمال ((العهن)) بدلا من الصوف، وقد قرأ ابن مسعود (رضي الله عنه) ((كالصوف المنفوش))[5]، وذلك لان العهن هو الصوف المصبوغ ألواناً مختلفة بفعل الإنسان، وهذا ما يناسب ألوان الجبال المختلفة –كما اشرنا– أما الصوف فغير مصبوغ، وقد تكون بعض ألوانه مختلفة لكنها محدودة ليس بكثرة ألوان العهن.

---

[1]) ينظر: التفسير الكبير ٦٩/٣٠، وروح البيان ٥١٢/١٠، وحدائق الروح والريحان ٢٧٠/٢٢.
[2]) ينظر التفسير الكبير ٦٩/٣٠.
[3]) المصدر نفسه.
[4]) ينظر: التحرير والتنوير ٥١٣/٣٠.
[5]) ينظر:معاني القرآن – للفراء ٢٨٦/٣، التفسير الكبير ٧٢/٣٢، اعراب ثلاثين سورة ص١٧٣.

ومشهد العهن المنفوش له دلالته على البيئة العربية، ذلك لان الصوف من منتجات حيوانها الذي هو عماد حياتها، فكانوا يجتزونه من غنمهم، ويصبغونه بألوان مختلفة وينفشونه، فيصنعون منه ما تطلبه حياتهم[١].

إن أصوات لفظة ((العهن)) جسّدت حال الجبال عند حدوث الواقعة فلو نَطَقْتَ هذه اللفظة ((الْعِهْن)) وَتَأمّلْتَ صفات حروفها، وتحسَّست تحقيق مخارجها لوجدت ان نطق المقطع الأول الطويل المغلق (أل) فيه شدة وقوة، لان تحقيق نطقه يحتاج الى جهد عضلي.

وان مخرج اللام أعلى من مخرج العين، لان اللام صوت لثوي مجهور مغلظ، أي: ينطق بأن يتصل طرف اللسان باللثة، ويرتفع الطبق حتى يتصل بالجدار الخلفي للحلق[٢].

أما العين فهو صوت حلقي، رخو، مجهور مرقق يتم نطقه بتقريب جذر اللسان من الجدار الخلفي للحلق[٣].

والهاء صوت يخرج من أقصى الحلق (الحنجرة) رخو، مهموس يجري فيه النفس[٤].

اما النون فهو صوت لثوي انفي مجهور متوسط بين الشدّة والرخاوة يتم نطقه بجعل طرف اللسان متصلا باللثة مع خفض الطبق لفتح المجرى الانفي[٥].

إن تحقيق نطق أصوات ((العهن)) في الآية الكريمة. يبدأ بالهمزة وهي حرف حنجري شديد يخرج من أقصى الحلق، ثم يحصل صعود إلى اللام اللثوي، ثم نزول إلى العين، ثم يستمر النزول إلى الهاء ذي التموجات الهوائية الضعيفة، ثم صعود إلى النون اللثوي.

---

[١]) ينظر معارج التفكير ٤٤٧/٢، والتعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة ص٧٧.
[٢]) ينظر: علم الاصوات اللغوية ص٦٩.
[٣]) المصدر نفسه ٨٤.
[٤]) ينظر دروس في علم الاصوات العربية ص٣٥.
[٥]) ينظر: علم الاصوات اللغوية ص٧٤.

وتحقيق نطق أصوات هذه اللفظة يجسد لنا عملية تفجير الجبال ونسفها التي تبدأ من الأسفل، وانهيارها من الأعلى، ودك بعضها على بعض وتفتتها بسبب تطاير أجزائها، وتطايرها كالعهن المنفوش والله أعلم.

قولـــه: ((﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ ﴾ القارعة: ٦ - ٧))

ثم ينساق الحديث من ذكر المشهدين العظيمين اللذين يحدثان بسبب القارعة الى الجزاء الذي يستحقه كلا الفريقين.

والذي يلاحظ أن القرآن قد اكتفى بذكر مجمل عن النتيجة التي تدل على سوابقها التي طواها من بعث الأموات إلى الحياة الأخرى، والحشر، والحساب، ثم فصل القضاء بين العباد على ما قدموا في الحياة الدنيا. ثم يأتي تحقيق الجزاء[1]، فقال: ((﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ ﴾ القارعة: ٦ - ٩)) .

وكل الذي ذكره هنا بيان إجمالي لانقسام الناس على قسمين، وتنبيه على كيفية الأحوال الخاصة بكلّ منهما إثر بيان الأحوال الشاملة للكل[2].

والفاء في قوله ((فأما)) فصيحة، إذ أفصحت عن محذوف، وهو جواب شرط مقدر، فكأنما قيل: إذا أردت أن تعرف ما ذكرته لك من حال الناس في يوم القيامة، وأردت بيان حالهم ومآلهم فأقول: أما من ثقلت موازينه...الخ.

و(أما) حرف يفيد معنى الشرط والتفصيل والتوكيد[3]. لذا فالناس تتشوق بلهفة إلى ما يأتي بعدها، لان صبرها قد نفد، وهي تتطلع إلى معرفة كُنْه القارعة وحقيقتها، فجاءها الجواب: ((﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ

---

[1]) ينظر : معارج التفكير ٤٥١/٢، ٤٥٢.
[2]) ينظر: ارشاد العقل السليم ٨٩٩/٥، وروح المعاني ٤٤٨/٣٠.
[3]) ينظر معترك الاقران ٦٤/٣.

﴿ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩ ﴾ القارعة: ٦ - ٩)) . حكم عدل، وفيض عطاء جميل من لدن ربٍّ رحيم كريم، جزاء وفاقاً للمؤمنين الصابرين.

واللافت للنظر أن الإبهام أيضا حاصل في العطاء بدليل اختلاف المفسرين في بيان معنى ((موازين)) و ((راضية)). وما ذاك إلا لتشويق الناس بهذا العطاء، وترغيبهم في نهج سبل الحصول عليه، ثم النجاح والفوز بهذا التكريم العظيم.

فقيل: الموازين: جمع موزون، وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله سبحانه وتعالى.

وقيل: الموازين: جمع ميزان ، وهي الآلة التي توضع فيها صحائف الأعمال وثقلها: رجحانها[١].

وقيل: الموازين: الحجج والدلائل، ومنه قول الشاعر:

قَدْ كُنْتُ قبل لقائكم ذا مِرَّة عندي لكلّ مخاصم ميزانه[٢].

وقيل: الوزن: عبارة عن القضاء السَّوي والحكم العادل[٣].

وقيل: الموزون: الأعمال أنفسها تجسداً، وصحائفها[٤].

ويرى سيد قطب أنّ القرآن استعمل هذا التعبير تمشياً مع طريقة التجسيم التي تكثر في تصوير القرآن الكريم، فجعل لوزن الأعمال المعنوية موازين حسيّة على مشهد من الناس المبثوثين كالفراش[٥].

ونحن نرى أن جمعها للتعظيم ولتعددها على وفق تعدد أعمال الإنسان. فلما كان قوام النجاة، ثم الفوز والفلاح بعطاء الله سبحانه وتعالى هو الأعمال الصالحة التي يقدمها العبد في الحياة الدنيا. تلك الأعمال التي تنبثق من الإيمان الصادق، والنيات الخالصة لوجهه تعالى والامتثال لأوامره، والابتعاد عن نواهيه، والاستشعار برقابته سبحانه وتعالى في كلّ جزيئة من أجزاء

---

[١]) ينظر : الكشاف ١٣٧٣/٤، التفسير الكبير ٧٠/٣٠، وفتح القدير ٥١٢/٥.
[٢]) ينظر: جامع الاحكام ٤٤٥/٢٢، وفتح القدير ٥١٢.
[٣]) ينظر ارشاد العقل السليم ٨٩٩/٥.
[٤]) نظم الدرر ٢٢٣/٢٢.
[٥]) ينظر مشاهد القيامة ص٦٥.

الأعمال التي يقوم بها الإنسان جعل الله لها ثقلاً توزن بموازين ربانية لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصتها.

وثقل الموازين رجحانها، لان الحق ثقيل، والباطل خفيف لا وزن له.

وفي هذا الاستعمال كناية عن رضى الله سبحانه وتعالى عن عبده لكثرة حسناته التي حصل عليها من أعماله الصالحة في الحياة الدنيا.

ومن نافلة القول أن نذكر انه قد شاع عند العرب الكناية عن الفضل والشرف والمنزلة الرفيعة، و أصالة الرأي بالوزن ونحوه، وكأن صاحبها اذا وضع في ميزان كان له به رجحان.

قال النابغة:

الى خيرِ دينٍ نسكه قد علمته ... وميزانه في سورة البرِّ ماتع[1].

وبضد ذلك يقولون: ((فلان لا يقام له وزن))[2].

وقال تعالى في حق الذين عملوا أعمالاً غير مشروعة، وجحدوا بآياته: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾ الكهف: ١٠٥)).

قوله: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ ﴾ القارعة: ٧.

ما أطيب هذه العيشة التي وصفها ربُّنا عزّ وجل بهذا الوصف الدقيق ((راضية))! طوبى لمن ينالها من ذوي الأعمال الصالحة، والفضائل الراجحة.

عيشة تسر بها نفوسهم، وتقرُّ بها أعينهم.

فقد ورد عن قتادة ((رحمه الله)) : أن قوله ((في عيشة راضية)) يعني: الجنة[3].

---

[1]) الديوان ص٥٢ وماتع: راجح.
[2]) التحرير والتنوير ٥١٣/٣٠.
[3]) ينظر: جامع البيان ٦٧٦/٣٠.

والمشهور في معنى ((راضية)) عند المفسرين: انها ذات رضى، أو مرضية يرضاها صاحبها[١].

وقيل معنى راضية، أي: فاعلة للرضا، وهو اللين والانقياد لأهلها[٢].

وقيل: راضية هنا ليس من باب النسب، بل هو اسم فاعل أريد به لازم معناه، لانّ من شاء شيئاً ورضي به لازمه، فهو مجاز مرسل، أو استعارة مكنية، أو مجاز في الإسناد إذ اسند الرضى إلى العيشة، والأصل انه هو الراضي بها[٣].

ويلاحظ في استعمال عيشة ((راضية)) وجوه بيانية منها:

١- أن التعبير القرآني استعمل صيغة ((عيشة)) ولم يقل ((عَيْش)) لكي لا يتبادر إلى الذهن أن العيش في الجنة ذو ألوان، كما في الحياة الدنيا. فقد ينقلب العيش من حال إلى حال. لكن قال ((عيشة)) فألحقها التاء الدالة على الوحدة ليفهم أن العيش في النعيم يكون على حالة واحدة في الصفاء واللذة[٤]. فالعيشة كلمة تجمع النّعم كلها التي في الجنة[٥].

٢- إنّ استعمال صيغة ((راضية)) هنا صفة للعيشة استعمال مقصود لغرض التوسع في المعنى، فالتعبير أراد أن يبين إن أصحاب هذه العيشة راضون بها كلَّ الرضى، وهي راضية بأهلها كلَّ الرضى، وتحقق الرضى منها ومن أهلها يدل على أروح نعيم العيش ورغده.

يقول صاحب كتاب معارج التفكير عن الغرض من استعمال:

((عيشة راضية)) : ((والغرض البياني الإشعار بمصاحبة الرضى لكلّ أجزاء عيشة المؤمن في الجنة، فلا يوجد عنصر منها، ولا أجزاء زمنية مرافقة لها تخلو من الرّضى، وهذا المعنى لا تؤديه عبارة: فهو راض عن عيشته، وذلك لان الإنسان قد يرضى عن عيشته ولو دخلت ضمنها منغصات، إذ هو ينظر إلى عيشته باعتبار الأغلب من أحوالها، بخلاف العيشة نفسها التي تمرُّ أجزاء مع

---

[١]) ينظر: معاني القرآن واعرابه ٢٧١/٥، والتفسير الكبير ٧٠/٣٠، فتح القدير ٥١٢/٥، ارشاد العقل السليم ٥،٨٩٩، وروح المعاني ٤٤٩/٣٠.

[٢]) ينظر: جامع الاحكام ٤٤٥/٢٢، وفتح القدير ٥١٢/٥.

[٣]) ينظر: روح المعاني ٤٤٩/٣٠.

[٤]) ينظر: نظم الدرر ٢٢٣/٢٢، وروح المعاني ٥١٢/٣٠.

[٥]) ينظر: جامع الاحكام ٤٤٥/٢٢.

توالي الأزمان، إذ كلّ جزء منها منفكٌ عن سابقه وعن لاحقه، فإسناد الرضى إليها يدل على أن كلَّ أجزائها مغمور بالرضى))[1].

ويلاحظ ان التعبير القرآني هنا أجمل في بيان نعيم هذه العيشة، واكتفى بقوله ((راضية)) وذلك ليدع العبد يجول في خياله ليتأمل صنوف النعيم في هذه العيشة الراضية.

قوله: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾

خفَّ الشئُ يخِفُّ بالكسر صار خفيفا، والتخفيف ضد التثقيل[2].

والمراد من قوله:((خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ)) أي: مَن قلّت حسناته وخفّ وزنها[3]. وغلبت سيئاته عليها، أو لم تكن له حسنة يُعْتَدُّ بها لاّتباعه الباطل[4]، واجتراحه المعاصي واقترافه الذنوب، والعيث في الأرض فساداً، فسقطت قيمته فكأنه ليس بشيء.

---

[1]) معارج التفكير ٤٥٢/٢.
[2]) ينظر: الصحاح مادة (خفف).
[3]) ينظر: جامع البيان ٦٧٦/٣٠، الكشاف ١٣٧٤/٤، والتفسير الكبير ٧١/٣٠.
[4]) ينظر: نظم الدرر ٢٢٣/٢٢، وارشاد العقل السليم ٨٩٩/٥.

قوله: ((فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ))

أي: مأواه، أو مسكنه، أو مستقره الذي يصير إليه ويستقر فيه، وهو المكان الذي يضمه ويجمع أمثاله[1]. وأمُّه وصف لجهنم، وسمّاها أمه لان الكافر يأوي إليها، وتضمه كما يأوي إلى أمه[2].

و(هاوية) من هوى يهوي إذا سقط الى أسفل، والهاوية: المهواة ما بين الجبلين ونحو ذلك، وتهاوى القوم في المهواة اذا سقط بعضهم في إثر بعض[3].

ويذكر الرازي في قوله تعالى ((فأمه هاوية)) وجوها: ((احدها ان الهاوية من أسماء النار[4]، وكأنها النار العميقة يهوي اهل النار فيها مهوى بعيداً، والمعنى: فمأواه النار، وقيل: للمأوى (أمّ) على سبيل التشبيه بالام التي لا يقع الفزع من الولد إلاّ إليها.

وثانيها: فأمُّ رأسه هاوية في النار، ذكره الاخفش والكلبي.

وقتادة قال: لأنهم يهوون في النار على رؤوسهم.

وثالثها: أنهم اذا دَعَوا على الرجل بالهلاك قالوا: هوت أمه، لأنه إذا هوى، أي: سقط وهلك فقد هوت أمُّه حزنا وثكلاً، فكأنه قيل: وأما من خفت موازينه فقد هلك))[5].

ولو أمعنا النظر في هذه اللفظة، وفي أصواتها التي انتظمتها لأمكننا القول: إن التعبير القرآني آثر هذه اللفظة على غيرها من الألفاظ التي وصفت بها جهنم أو التي سميت بها كما يقول كثير من المفسرين واللغويين، كالجحيم، أو سقر، أو غير ذلك لأسباب منها:

١- غرابة اللفظة واعني بذلك ان فهمها يحتاج الى تعمق كثير.

---

[1]) ينظر: جامع البيان ٦٧٦/٣٠، البحر المحيط ٥٠٤/٨، وارشاد العقل السليم ٨٩٩/٥.

[2]) المصادر انفسها، وينظر: جامع الاحكام ٤٤٦/٢٢.

[3]) ينظر: الصحاح، ولسان العرب مادة ((هوى))، وجامع الاحكام ٤٤٦/٢٢.

[4]) رُدّ هذا القول بأن تنوينها ينافي كونها اسم علم لجهنم، لان ذلك يلزم فيها المنع من الصرف للعلمية، والتأنيث. ينظر اضواء البيان ٢٣١/١٠.

[5]) التفسير الكبير ٧٠/٣٠، وينظر: الكشاف ١٣٧٤/٤.

٢- دلالتها على السقوط السحيق، والتردي العميق.

٣- رعاية الفاصلة.

٤- إئتلاف أصواتها الذي يدلّ على معناها.

إن تأمل صفات أصواتها ((هاوية)) ونطق مقاطعها الصوتية يُنبئ على غاية عمقها وبعد مهواها.

فالمقطع الأول الطويل المفتوح (ها) لم يدل على القوة والاستعلاء الذي دلّ عليه المقطع الطويل المفتوح (قا) من القارعة، وإنما يدلُّ على الاتساع في النزول والتسفل، وزاده شدة في الانحدار المقطعان القصيران اللذان يتلوانه (وِ يَ)، فكأنما الكافر لا يزال فيها نازلاً.

فهذه اللفظة هي التي يتطلبها النظم، وجوّ السورة الذي يتناسب هو ومستقر أولئك الذين قست قلوبهم وزين لهم الشيطان أعمالهم.

فأية دقة في هذا الاستعمال المعجز. أليست ألفاظ القرآن الكريم صارت بطريقة، استعمالها، ووجه تركيبها كأنها فوق الألفاظ، كما يقول الرافعي[١].

قوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ ﴾ القارعة: ١٠))

بعد أن أبهم (الهاوية) أخذت النفس أهبتها لتسمع تبيانها وتعرف حقيقتها، لكن التعبير القرآني فسّرها باستفهام فيه تجهيل وتعجيب تعظيماً لأمرها، أي: أيُّ شيء أعلمك ((ما هي)) هذه الهاوية! وهذا إشعار بأنها خارجة عن الحدود المعهودة، إذ لم يعهد احد مثلها ليقيس عليها[٢].

وجملة (ما هي) من المبتدأ والخبر في محل نصب سدت مسد مفعولي (أدراك) والضمير (هي) يعود على الداهية المفهومة من الهاوية في قوله (فأمه هاوية)، أو يعود على (هاوية) على رأي من يقول: إنها اسم من أسماء النار، او دركة من دركات النار[٣].

---

١) ينظر: اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص٢٥٨.

٢) ينظر الدرر ٢٢٤/٢٢، وفتح القدير ٥١٣/٥.

٣) ينظر: الكشاف ١٣٧٤/٤، البحر المحيط ٥٠٤/٨، والدر المصون ٩٦/١١.

و(الهاء) في (هيه) هاء السكت، وهي تجلب لأجل تخفيف اللفظ عند الوقف[1].
وجمهور القراء اثبتوا نطقها في حالتي الوقف والوصل، وحذفها في الوصل حمزة بن حبيب الزيات، والأعمش وآخرون[2].
وفي مجيء هاء السكت هنا ملحظ بياني أشار إليه البقاعي بقوله: ((وهاء السكت إشارة إلى أنّ ذكرها ممّا يكرب القلب حتى لا يقدر على الاسترسال في الكلام، أو إلى أنها ينبغي للسامع ان يقرع بهذا الاستفهام عنه سمعه فيسكت لسماع الجواب وفهمه غاية السكوت، ويصغي غاية الإصغاء))[3].

قوله: ((﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾ ﴾ القارعة: ١١))

ولننظر إلى التعبير القرآني كيف فسَّر ((الهاوية)) بعد أن أبهمها وهولها بقوله : ((﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ ﴾ القارعة: ١٠))؟
بينها بما يمكن معرفته من وصفها، فيقال: (نارٌ حاميةٌ) أي: قد انتهى حرّها، وبلغ في الشدّة إلى الغاية[4].
وقوله: (حامية) صفة لـ (نار) التي أعربوها خبراً، أي: هي نارٌ حامية وهذه الصفة تفيد التوكيد. كقولنا جاء طالبٌ واحد و أمس الدابر لا يعود .
ويرى الطاهر بن عاشور ان وصف النار بـ (حامية) هو من قبيل التوكيد اللفظي، لان النار لا تخلو من الحمي، فوصفها بهذا الوصف هو وصف بما هو معنى لفظ (نار) فكان كذكر المرادف، كقوله تعالى : ((﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ﴾ الهمزة: ٦)).

---

[1]) ينظر : التحرير والتنوير ٥١٥/٣٠.
[2]) ينظر: السبعة ٦٩٥، التيسير ص٢٢٥، البحر المحيط ٥٠٤/٨، والنشر ١٤٢/٢.
[3]) ينظر الدرر ٢٢٤/٢٢.
[4]) ينظر : فتح القدير ٥١٢/٥.

وفي التعبير إيحاء إلى انّ جميع النيران بالنسبة إليها كأنها لم تكن حامية، وذلك كاف في التنبيه على قوة حرارتها وشدة استعارتها[1].

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

المصادر والمراجع

١- الأمالي الشجري- ابن الشجري(ت٥٤٢هـ)، ط١، مطبعة دار المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن (١٣٤٩هـ).

[1]) ينظر التفسير الكبير ٧١/٣٢.

٢- ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم- للعلامة ابي السعود(٩٥١هـ)- دار الفكر (د.ت).
٣- اعجاز القرآن والبلاغة النبوية- مصطفى صادق الرافعي.دار الكتاب العربي- بيروت٢٠٠٤م.
٤- اضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- محمد الامين الشنقيطي دار الكتب العلمية-بيروت،ط٢٠٠٢،٢م.
٥- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم- لابن خالويه(ت٣٧٠هـ)- دار التربية (د.ت).
٦- إعراب القرآن- لابي جعفر النحاس(ت٣٣٨هـ)-، تحقيق: د.زهير غازي زاهد، منشورات وزارة الاوقاف العراقية، مطبعة العاني -بغداد-.
٧- إعراب القرآءات الشواذ- لابي البقاء العكبري(ت٦١٦هـ)، تحقيق: محمد السيد احمد عزوز،ط١، عالم الكتب ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.
٨- البحر المحيط - لابي حيان الاندلسي(ت٧٤٥هـ)، تحقيق : الشيخ عادل احمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٩- التبيان في إعراب القرآن - ابو البقاء العكبري(ت٦١٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ ، ١٩٧٩.
١٠- التحرير والتنوير -الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر (د.ت).
١١- التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة - ابتسام مرهون الصفار، ط١، مطبعة الآداب، النجف الاشرف ١٣٨٧هـ ،١٩٦٧م.
١٢- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم - د. عبد العظيم إبراهيم المطعني،ط٢، مكتبة وهبة - القاهرة ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.
١٣- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب -فخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت ط٢، ٢٠٠٤م -١٤٢٥هـ.
١٤- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس - الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ). مطبعة الاستقامة ١٩٦٠م.
١٥- التيسير في القراءات السبع- ابو عمر الداني(ت٤٤٤هـ)، تحقيق: أوتوبرتزل - مطبعة الدولة- اسطنبول ١٩٣٠م.
١٦- جامع البيان في تأويل القرآن- ابن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) -دار الكتب العلمية -بيروت ط٤، ٢٠٠٥م - ١٤٢٦هـ.

١٧- الجامع لاحكام القرآن -لابي عبد الله القرطبي(ت٦٧١هـ)- تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين – مؤسسة الرسالة،ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٨- حاشية الصبّان على شرح الأشموني – مطبعة دار إحياء الكتب العربية – مصر (د.ت).
١٩- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – للسمين الحلبي(ت٧٥٦هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وآخرين – دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.
٢٠- الدر المنثور في تفسير بالمأثور – جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، دار الفكر، ط١، ١٩٨٣م.
٢١- دروس في علم أصوات العربية -جان كانتينو -ترجمة: صالح القرماوي، الجامعة التونسية ١٩٦٦م.
٢٢- ديوان الخنساء شرحه وقدم له د. عمر فاروق الطباع، دار الارقم بن ابي الارقم، بيروت – لبنان.
٢٣- ديوان النابغة الذبياني صنعة ابن السكّيت – تحقيق د. شكري فيصل ، دار الفكر بيروت ١٩٦٨م.
٢٤- روح البيان في تفسير القرآن – الشيخ اسماعيل بن حقي البروسوي(ت١١٣٧هـ)، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن -دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (د.ت).
٢٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – لابي الفضل شهاب الدين ابن محمود الآلوسي(ت١٢٧٠هـ). تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م – ١٤٢٦هـ.
٢٦- زاد المسير في علم المسير – لابن الجوزي(ت٥٩٧هـ)، دمشق ١٩٦٥م.
٢٧- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط١٦، دار الفكر، بيروت ١٩٧٤م.
٢٨- الصحاح – للجوهري(ت٣٩٣)، تحقيق احمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين. بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ -١٩٨٨م.
٢٩- علم الآصوات اللغوية – د. مناف مهدي محمد ، ط١، عالم الكتب – بيروت ١٤١٩هـ - ١٩٨٨م.

٣٠- فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير – محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) –شركة دار الارقم للطبالعة والنشر- بيروت (د.ت).
٣١- في ظلال القرآن –سيد قطب، ط٣٤، دار الشروق ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٣٢- قراءة زيد بن علي – دراسة نحوية لغوية – د. خليل إبراهيم السامرائي – مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ ،٢٠٠٦م.
٣٣- كتاب السبعة – ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، تحقيق : د. شوقي ضيف، مصر ١٩٧٢م.
٣٤- كتاب سيبويه، ابو بشر عمر بن قنبر (سيبويه)_(ت١٨٠هـ) تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، مصر ١٩٨٣م.
٣٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل – ابو القاسم جار الزمخشري(ت٥٣٨هـ) – دار احياء التراث العربي –بيروت –لبنان ، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣٦- كشف المشكلات وايضاح المعضلات –ابو الحسن علي بن الحسين الباقولي، تحقيق د. محمد احمد الوالي، ط١، ١٩٩٥م، ١٤١٥هـ.
٣٧- لسان العرب – ابن منظور(ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م.
٣٨- مجاز القرآن – لابي عبيدة معمر بن المثنى(ت٢١٠هـ)، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مصر مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٣٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز –لابن عطية الاندلسي، تحقيق السيد عبد العال السيد ابراهيم –دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة.
٤٠- مشكل اعراب القرآن –مكي بن ابي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ)، تحقيق د. حاتم الضامن دار البشائر ، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٤١- مجمع الامثال –احمد بن محمد الميداني(ت٥١٨هـ) – تحقيق د. جان عبد القادر توما، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
٤٢- مشاهد- معارج التفكير ودقائق التدبّر- عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني مطبعة دار القلم- دمشق ١٤٢٠هـ_ ٢٠٠٠م القيامة في القرآن –سيد قطب، دار الشروق (د.ت).
٤٣- معاني القرآن – سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط (ت٢١٥هـ)،ط٢، تحقيق د.فائز فارس، دار البشير ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٤- معاني القرآن – يحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٧هـ)، ط٣، تحقيق د. عبد الفتاح اسماعيل شبلي. مطبعة دار الكتب – القاهرة ٢٠٠٢م.
٤٥- معاني القرآن واعرابه- ابو اسحاق الزجاج(ت٣١١هـ). تحقيق د. عبد الجليل عبده شبلي دار الحديث – القاهرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٤٦- معجم مقاييس اللغة – احمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية – ايران (د.ت).
٤٧- ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ في آي التنزيل – ابن الزبير الغرناطي(ت٧٠٨هـ)، علق عليه: عبد الغني محمد علي الفاسي – دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٤٨- معترك الاقران في اعجاز القرآن، للسيوطي(ت٩١١هـ) ، تحقيق: احمد شمس الدين دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٤٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – برهان الدين البقاعي ، ط٢، دار الكتاب الاسلامي ١٤١٣هـ - ١٩٩٤م.
٥٠- وجوه من الاعجاز القرآني – مصطفى الدباغ – ىط٢ ، مكتبة المنار – الزرقاء – الاردن ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.